فرانز فانون سيرة حياة

نقدم لكم اليوم قراءة في كتاب – قصة حياة فرانز فانون للكاتب دافيد ماسي وفي هذا الكتاب الجديد يخصص دافيد ماسي سيرة ضخمة للمناضل والمفكر الأممي الشهير: فرانز فانون.

ومعلوم أن الجزائر احتفلت به وبذكراه عام 2004 بمناسبة انعقاد المعرض الدولي التاسع للكتاب فيها، ونظمت له مؤتمرا علميا حافلا شاركت فيه عشرات الشخصيات من عربية وأجنبية، وكان ذلك تقديرا لنضاله من أجل تحرر الشعب الجزائري من نير الاستعمار الفرنسي.

فمن هو فرانز فانون يا ترى؟

لقد ولد في جزر الأنتيل عام 1925 وهي جزر تابعة لفرنسا كما هو معلوم. وبعد أن أكمل دراساته الطبية الأولى انخرط في النضال من أجل الحرية منذ نعومة أظفاره، وكان ذلك أثناء الحرب العالمية الثانية.

ولكن حكام الجزيرة كانوا من أتباع المارشال بيتان، عميل الألمان، لا أتباع الجنرال ديغول. ولهذا السبب فإنه سافر بالبحر عن طريق الزورق حتى وصل إلى إحدى الجزر التابعة للتاج البريطاني. وهناك انخرط في صفوف القوات التابعة للجنرال ديغول، قائد فرنسا الحرة. والواقع أن معظم سكان جزر الأنتيل كانوا معه في ذلك، ومعلوم أن عددهم آنذاك لم يكن يتجاوز العشرة آلاف شخص. كلهم كانوا مع ديغول ضد بيتان.

ثم يردف المؤلف قائلا: وعندما انخرط فرانز فانون في صفوف المقاومة ضد الفاشية والاحتلال الألماني لفرنسا ما كان عمره يتجاوز السبعة عشر ربيعا، وقد قال فرانز فانون آنذاك هذا الكلام الهام: أنا لست على وجه الأرض لكي أدافع عن السود فقط، وإنما عن كل مظلوم ومضطهد.

وسوف أدافع عن فرنسا لأنها محتلة من قبل الألمان على الرغم من أنها تحتل الآخرين، ولكنني سأقف ضدها في الجزائر بعد أن تخلصت من نير الاحتلال الألماني وأصبحت حرة تقمع شعبا آخر. في الواقع أن فرانز فانون كان مناضلا أمميا أو كونيا، كان يعشق الحرية ويقدس العدالة ويقف إلى جانب المضطهدين أينما كانوا، ولأي دين أو عرق انتسبوا.

وفي أثناء انخراطه داخل الجيش الفرنسي فوجئ فانون بالعنصرية من طرف البيض الفرنسيين. فعلى الرغم من أنه يناضل معهم جنبا إلى جنب ضد هتلر والنازية إلا أنهم لم يستطيعوا إخفاء مشاعرهم العنصرية ضده، أو قل ان بعضهم كان كذلك وليس كلهم. فليس جميع الفرنسيين عنصريين.

وهذا ما دفع بفرانز فانون إلى التفكير بوضعه كإنسان محتقر ومنبوذ، إنسان ينتمي إلى عرق أدنى، هو العرق الأسود، وإلى جزيرة مستعمرة وملحقة بفرنسا، وراح يشكل لأول مرة نظريته عن وضع الإنسان الأسود، ونظام العبودية، وضرورة تحرير الإنسان من كل الأصفاد والأغلال.

واستقر رأيه على أن الاستقلال أو التحرر من نير الاستعمار لا يعطى كهدية وإنما يؤخذ عنوة وبالقوة، وبدءا من تلك اللحظة راح يقتنع بمشروعية العنف الثوري إذا كان الهدف منه تحرير الشعوب.

ثم يردف المؤلف قائلا: وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وتحرير فرنسا من الاحتلال الألماني ذهب فرانز فانون إلى مدينة ليون لدراسة الطب النفسي هناك، وقد اهتم بمعالجة الأفارقة والجزائريين الفقراء، ومعظمهم كانوا من العمال الذين يعيشون في الضواحي البائسة المحيطة بمدينة ليون ومعظم المدن الفرنسية الأخرى.

وكان هؤلاء يجيئون إليه لكي يشفيهم من مرض نفسي لا يعرفون سره ولا كنهه. ولكنه هو عرف سره وكنهه بعد فترة من التأمل والدراسة العميقة: إنه مرض الاقتلاع من الجذور أو البعد القسري عن الوطن.

فهذا العامل الجزائري أو الافريقي الذي جاء إلى فرنسا لكسب لقمة عيشه اضطر إلى مغادرة قريته أو مدينته في الجزائر، لقد اضطر إلى ترك عائلته وأحبابه هناك. وهو يعيش مذلولا في المصانع والمعامل ويشتغل ليل نهار لكي يكسب بعض النقود ويرسل قسما منها إلى عائلته التي بقيت في الوطن.

ولكنه يعاني من الغربة، من الابتعاد عن زوجته أو أمه أو أطفاله أو أحبائه. ولذلك يصاب بهذا المرض النفسي الذي لا يعرف سره ولا مصدره، وبما أن فرانز فانون كان شديد الحساسية ومفعما بالنزعة الإنسانية فإنه بذل كل ما في وسعه لمواساة هؤلاء الفقراء المسحوقين المقتلعين من جذورهم.

ثم شاءت الأقدار أن يسافر فرانز فانون إلى الجزائر لكي يشتغل فيها كطبيب نفسي، ولكن لماذا ذهب إلى هناك وليس إلى مكان آخر؟

لسبب بسيط هو أن فرنسا ما كانت مستعدة أن تعطي منصب طبيب محترم لرجل أسود. كانت لا تزال مغلقة على نفسها في ذلك الزمان. ولم تكن قد انفتحت بعد على السود والعرب وسواهم كما حصل لاحقا.

ثم لأنه لم يكن هناك أي مستشفى نفسي في جزر الأنتيل أو المارتينيك، وبالتالي فلا يستطيع أن يعود إلى وطنه لممارسة هذه المهنة، ولهذا السبب استقر رأيه على الذهاب إلى الجزائر.

و ينبغي العلم بأنه كان يحمل الجنسية الفرنسية وأن الجزائر آنذاك كانت تابعة لفرنسا، وبالتالي فيحق له أن يشتغل فيها وكأنه يشتغل في وطنه، وهكذا عينوه أستاذا للأمراض النفسية في مدينة «البليدة».

وهناك اصطدم بالواقع المر، فالمرضى الجزائريون كانوا يعاملون كالحيوانات في مستشفى البليدة، ومعظمهم كانوا مقيدين بالسلاسل باعتبار أنهم مجانين يشكلون خطرا على الناس.

وعندما رأى ذلك لم يستطع تحمل المنظر من الناحية الإنسانية، هذا ما يقوله ابنه عنه، وبدءا من تلك اللحظة قطع فرانز فانون علاقاته مع فرنسا الاستعمارية.

وعرف فانون أن المرضى في ظل نظام كولونيالي تعسفي كهذا لا يمكنهم أن يشفوا من مرضهم، على العكس فإنه يزداد تفاقما، وبالتالي فلكي نداوي بشكل معقول المرضى الجزائريين ينبغي أولا أن نضع حدا للاستعمار الفرنسي.

ولهذا السبب استقال الدكتور فرانز فانون عام 1956 من منصبه كطبيب في مستشفى البليدة وانضم إلى جبهة التحرير الوطني وحركة المقاومة للشعب الجزائري.

وقد قال فانون مرة هذه العبارة التي تدل على حقيقة فكره: عندما يدافع الإنسان عن كرامة الفكر، عندما يقول «لا» للاستعباد والاضطهاد فإني أشعر بالتعاطف معه، أشعر بأنه أخي وصديقي.

ثم غادر فرانز فانون الجزائر وعاد إلى باريس لمواصلة نضاله لصالح الشعب الجزائري، ولكن السلطات الفرنسية أصدرت قرارا بطرده من البلاد، فالتحق بتونس حيث واصل نشاطه المزدوج كمناضل سياسي وكطبيب نفسي. وقد أسس مركزا لمعالجة الأمراض العصبية النفسية في منوبة.

وفي ذات الوقت التحق بقسم الصحافة الخاصة بجبهة التحرير الوطني الجزائرية. وراح يكتب بشكل منتظم في جريدة المجاهد، لسان جبهة التحرير قبل الاستقلال وبعده.

وبدءا من عام 1959 عينته جبهة التحرير الوطني كسفير متنقل يمثل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، وعندئذ راح يكثر من الرحلات وإلقاء المحاضرات في أماكن شتى، ولكن، وأسفاه، فإن الفحوص الطبية التي أجراها كشفت له عن وجود سرطان في الدم لديه.

وهكذا انقطع الحلم الكبير الذي يسكن هذا المناضل الفذ وعرف أن أيامه أصبحت معدودة، ولهذا السبب كتب بسرعة الكتاب الذي كان يفكر فيه منذ زمن طويل والذي سوف يشهره لاحقا: معذبو الأرض.

هذا وقد رثاه جان بول سارتر وبعض المثقفين الفرنسيين الآخرين رثاء حارا. وتحول فرانز فانون إلى أسطورة بعد موته ولا يزال.

DEVKUP
DK

قراءة في كتاب " معذبو الأرض "

لمن لا يعرف فرانز فانون (1925-1960): طبيب نفسي وفيلسوف اجتماعي أسود، ولد في فور دوفرانس في جزر المارتينيك، وخدم خلال الحرب العالمية الثانية في "جيش فرنسا الحرة" وحارب النازيين، ثم عمل كطبيب عسكري فرنسي في الجزائر إبان فترة الاحتلال، ثم انتقل للعمل كرئيس للقسم النفسي في مستشفى بليدا جوانفيل بالجزائر.

عمل في هذه الأثناء مع جبهة التحرير الوطنية سرًا، ثم بشكل علني بعد استقالته من عمله بالمستشفى المذكور، حتى توفى ودفن في مقبرة مقاتلي الحرية بالجزائر.

مقدمة الكتاب: بقلم جان بول سارتر

يهاجم جان بول سارتر بشكل أساسي في هذه المقدمة، بل ويسخر، من المجتمعات الاستعمارية الأوروبية التي ترتكب الجريمة وتعاير بها الضحية؛ فهذه المجتمعات قد وضعت الضحية في قفص الاتهام لتحولها إلى وحش عنيف، غير مدركة أن تلك نتيجة طبيعية لتوحش الاستعمار وانتهاكاته الجسدية والنفسية التي يمارسها على المستعمر، لا يمكن إلا أن تضع خطًا هنا أو هناك تحت جملة أعجبتك من سارتر.

أهمية الكتاب

يرسم هذا الكتاب العلاقة بين المستعمِر والمستعمَر، ويخطط في كيفية إشعال الثورات من الأسفل، وفي كيفية الحفاظ على الثورة من تلاعبات الاستعمار والنخب المحلية الخاضعة له، ويكشف لنا الحقيقة الموجعة التي تقول بأن الاستعمار استبدل الاحتلال المباشر ذا الكلفة المادية والبشرية العالية باستعمار آخر محلي أقل كلفة وخاضع تمامًا لقوى الاستعمار السابقة، وترتبط مصالحه الثقافية والسياسية والاقتصادية به من خلال نموذج تفسيري طائفي، قومي عنصري، تمت صناعته سلفًا على يد المستشرقين.

في هذا الكتاب -الذي لم يره صاحبه مطبوعًا؛ لأن الموت كان أسرع، مختطفًا إياه باللوكيميا-يفضح فانون الاستعمار الجديد، متمثلًا فيما أسماها البرجوازية الوطنية التي لم تشارك في ثورة الشعب مشاركة صادقة، ولا أهابت بالجماهير يومًا ما إلى النضال المسلح العنيف، وكان كل منجزها مناورات هنا وهناك من أجل أن يتصدق عليها المستعمر ببعض الامتيازات.

الفكرة الأساسية التي يقدمها لنا كتاب "معذبو الأرض" هي أن العنف هو السبيل الأوحد للقضاء على الاستعمار، ويتهم على طول الخط البرجوازية الوطنية، التي فرطت والتي قبلت الجلوس على موائد التفاوض ومن خلفها جماهير ذليلة، ضعيفة ومقاومة مدجنة. ولهذا الغرض يفرد لنا فررانز بابًا مطولًا خاصًا فقط بالتنظير للعنف كوسيلة للدفع ضد الهجوم.

العنف: محو الاستعمار -الكيفية الرهيبة

يقول فرانز فانون في اقتباس بديع:

"إن محو الاستعمار وهو يستهدف تغيير نظام العالم إنما هو، كما ترون، برنامج لقلب النظم قلبًا مطلقًا. ولكنه لا يمكن أن يكون ثمرة عملية سحرية أو زلزالًا طبيعيًا أو تفاهمًا وديًا؛ أي إنه لا يمكن أن يعقل، ولا يمكن أن قوتين تستمد كل منهما صفتها الخاصة من ذلك التكوين الذي يفرزه الظرف الاستعماري ويغذيه، إن التجابه الأول الذي تم بين هاتين القوتين إنما تم تحت شعار العنف".

ويمضي فانون في وصفه للمجتمعات العنصرية فيقول إن العالم الاستعماري هو عالم مقسم على حسب الهوية؛ فهناك مدن للأوروبيين ومدن للسكان الأصليين، ومدارس للأوروبيين ومدارس للسكان الأصليين، كما في جنوب إفريقيا، والخط الفاصل بينهما هو الشرطي أو الدركي؛ فهو الوسيط الذي يتحدث لغة العنف وحدها في مجابهة المستعمَر.

لذا؛ فهو يرى أنه لا سبيل للمصالحة؛ فالصراع بينهما صفري في الأساس وبقاء أحدهما يعني فناء الآخر.

أما مدينة المستعمر، فهي غالبًا مدينة سيئة السمعة؛ يتكدس الناس فيها فوق بعضهم، وهي مدينة جائعة إلى كل شيء، إلى النور، إلى الخبز، إلى الفحم، إلى الأحذية.

والمستعمر يرى أن العالم الذي يعيش فيه السكان الأصليون لا وجود للقيم فيه، بل يصفهم بأنهم أعداء القيم، وهم الشر المطلق؛ وهو عنصر متلف يحطم كل ما يقابله، ويشوه كل ما له صلة بالجمال أو الأخلاق. حتى الكنيسة في هذا الحي هي كنيسة بيض، كنيسة أجانب لا تدعو إلى طريق الله، بل إلى طريق السيد المتسلط.

لكنه يرى أنه حين يحين كفاح التحرير، يتبدد شعور الشعب بالخوف من بطش الرجل الأبيض، ويخلق في وسط الدم والدموع مهمات واقعية جدًا، ومباشرة جدًا، للمجاهدين من الشعب.

في نقطة تالية، يتحدث فانون عن الأحزاب الوطنية التي تشكلت في معية الاستعمار، وهي أحزاب يرى فانون أنها تلعب دورها من خلال ظلها الاستعماري على الأرض وشعارها في ذلك "أعطني مزيدًا من السلطة". لذا؛ فالحوار بين هذه الأحزاب والاستعمار لم ينقطع يومًا، ومطالب قاعدتها هي مطالب فئوية، تتمثل دومًا في تحسين الأجور، والتمثيل الانتخابي، وحرية الصحافة وحرية الاجتماع، متناسين المطلب الأساسي وهو تحرير الأرض.

الانطلاق العفوي -عظمته ومواطن الضعف فيه

يهاجم فرانز في هذا الفصل البروليتاريا الناشئة في المستعمرات، ويرى أنها الطبقة التي تعاني الفردانية، والبعد عن الجذور؛ فهم يتركون الأرض ويتجهون إلى المدن ويمكثون في أكواخ الصفيح ويرضون بمعيشة أقل في سبيل الانضمام إلى طابور المدن، في حين يرى الفلاح الذي يتمسك بمكانه في عناد و إصرار بأنه العنصر المنضبط الذي يحافظ على ارتباطه بالأرض وبثقافته.

ويحلل الكاتب تلك العلاقة بين ابن الريف والمدينة في إطار الصراع الكبير؛ فيقول إن الفلاح ينظر إلى ابن المدينة على أنه الخائن الذي باع نفسه وأنه بلا أخلاق، وفي هذا الصراع يستفيد الاستعمار؛ بحيث يفلح في استغلال الأوضاع كما يناسب المصالح. فيقوم الاستعمار بتجنيد سكان الجبال والقرى ضد سكان المدن، ويثيرون مؤخرة البلاد ضد مقدمتها، ويحرضون القبائل، وهكذا.

العظيم في هذا الفصل تحديدًا هو وصف فانون لبعض التكنيك المستخدم في مواجهة الثورات العفوية، الذي أستطيع تسميته "تكنيك الثورة المضادة". فعلى سبيل المثال: تقوم الأحزاب السياسية بعد الثورات الكبيرة الناجحة بالتدخل فورًا لإعلان انضمامها إلى الثورة الكبيرة وتحاول ألا تعارض استمرار الثورة، ولكنها تكتفي بالركون إلى عفوية الجماهير القروية، ولا تحاول أن تنظم الثورة أو تبث الوعي السياسي، ويفهمون الاستعمار ألا صلة لهم بالثائرين؛ فيرسلون وفدًا لمحاولة السيطرة على الحكم، وغالبًا ما يكون عنصرًا عاقلًا، فيفشل في السيطرة على الشعب فتحاول الحومة وقتها التدخل بتركيز الحكم وإخضاع الشعب؛ ومن هنا تأتي مقولة "إن تلك الشعوب الثائرة لا تخضع إلا لديكتاتور متسلط".

يقول في اقتباس مهم:

"بل إن الحكام الجدد لا يتورعون عن القول: لا بد من السوط إذا نحن أردنا إخراج هذه البلاد من القرون الوسطى".

ولكن تهاون الأحزاب السياسية تجاه الجماهير الريفية في عهد الاحتلال هو الذي يؤدي إلى تصديع الوحدة القومية وتعطيل انطلاق الأمة.

ويستمر في شرح تكنيك آخر فيقول إن الاستعمار يختار من بين الأحزاب الوطنية التي شاركت في التحرير وأشكال ذلك الاختيار كلاسيكية معروفة -حسب فانون- فهو حزب مختار بالإجماع، يقوم الاستعمار بتفتيت مطالب هذا الحزب أو الفوز من قياداته بإبعاد العناصر المتطرفة، والإبقاء على العناصر الأكثر تعقلًا واعتدالًا، وحين تستنكر الأحزاب الأخرى ما يفعله الحزب المفاوض، يقوم الحزب الفائز بالإجماع باتهامه بعدم الشرعية.

ويرى فانون في نفس السياق أن التشكيلات النقابية لها دور فعال في إزعاج المدن، أو على الأقل عقلنة سير العمل فيها؛ فترى أهل العاصمة من المستعمرين يتصايحون: "لا غاز، لا كهرباء، القمامة لم تُجمع، البضائع تفسد على أرصفة الميناء".

مزالق الشعور القومي

في كفاحه، يظل المتسعمَر يحاول إزالة بعض المظالم مثل: العقوبات الجسيمة، تفاوت الأجور، تقييد الحريات السياسية. ولكن فقدان الاتصال بين الصفوة والجماهير يؤدي إلى مزالق فاجعة، كما يصفها فانون.

يرى فانون أن الشعور القومي إن تم توظيفه ليكون صوتًا لمطامح الشعب فسوف يتم استخدامه لإذكاء العصبيات القبلية والانحدار بمستوى الدولة إلى مستوى العشيرة.

ويرى أن هذا الضعف الكلاسيكي في تكون وعي قومي بنّاء سببه تخاذل البرجوازية الوطنية المحلية عن أن تكون هذا الوعي.

قوة هذه البرجوازية الوطنية في نهاية العهد الاستعماري تكاد تكون صفرًا، وهي لا تتجه نحو التصنيع والإنتاج والابتكار؛ وإنما تنفق أعمالها كلها في أعمال من نوعية الوساطة. لذا؛ فهو يرى أن الرسالة الصادقة لهذه البرجواية هي أن تنكر نفسها كأداة لرأس المال، وأن تضع نفسها في خدمة رأس المال الثوري الذي هو الشعب.

لكنه يتحدث عن أن البرجوازية الوطنية توجه نشاطها كله نحو الالتزام الزراعي الذي كانت تسلكه من قبل أيام الاستعمار: غلال الأراشيد، غلال الكاكاو، غلال الزيتون، وتصدر المواد الأولية ويظل الأهالي يعملون مزارعين صغارًا لدى أوروبا.

ولأن البرجوازية الوطنية لا تمكن تصورًا واضحًا لاستغلال هذه الثروات؛ فهي تكتفي بتأميمها، أي بوضع يدها على مكاتب الأعمال وبيوتات التجارة التي كان يشغلها المواطنون الأجانب. مجرد تعلق جديد بالسلطة لا أكثر،وتتحول إلى وسيط بين الرأسمالية والأمة، مرتدية قناعًا استعماريًا جديدًا.

النقطة الآتية المهمة هي: نشوء صراع ديني يقوم بين أبناء الأمة الواحدة على خلفية استعمارية، يقول فانون في اقتباس مهم:

"ففي السنغال تصدر جريدة (إفريقيا الجديدة) كل أسبوع لتعبر عن كره أصفر نحو الإسلام والعرب، وتستعدي الشعور القومي على اللبنانيين الذين يملكون في الساحل الأصفر القسم الأكبر من التجارة الصغيرة، وتحض على الانتقام منهم، ورجال التبشير ما يفتؤون يذكرون للجماهير أن الغزو العربي قبل وصول الاستعمار العربي بكثير قد حطم إمبراطورية زنجية كبرى".

البرجوازية الوطنية والديكتاتورية والزعيم الشعبي

في الغالب، يكون في البلدان المختلفة نظام برلماني فاسد فسادًا عميقًا؛ فتنشغل بنفسها وبحصد أرباحها ولا تقتسمها مع الشعب أبدًا، بل تنشغل بالدولة الأوروبية التي كانت تستعمرها وبالكيفية التي تضمن لها مصالحها في البلاد، وغالبًا يكون ذلك من خلال زعيم يقع على عاتقه مهمة استقرار العهد القائم وضمان استقرار الطبقة البرجوازية. ويخطب الزعيم في الشعب، ويعده بالآمال، وبعد الاستقلال يتضح أن أهميته فقط تكمن في الحفاظ على شبكة المنتفعين من البرجوازية الوطنية.

أما أهم ما قاله في هذا الفصل على الإطلاق فأسرده هنا في اقتباس بتصرف:

"في البلاد المتخلفة الفقيرة، نرى أكبر ثراء يتاخم أبأس فقر، يكون الجيش والشرطة أعمدة النظام القائم، وهما جيش وشرطة يشرف على توجيههما خبراء أجانب... وبالرشوة ينتزع الأجنبي الامتيازات تلو الامتيازات، وتتكاثر الفضائح ويغتني الوزراء وتستحيل نساؤهم إلى دمى، ويدير النواب أمورهم أيضًا، ولا يبقى شرطيٌ ولا موظفٌ من موظفي الجمارك إلا ويشارك في هذه القافلة من الفساد والرشوة".

ثم يطرح فانون سؤاله المهم: هل يجب الوثب فوق المرحلة البرجوازية؟ ويجيب أن برجوازية كالبرجوازية الأوروبية نجحت في إعطاء الشعب حدًا أدنى من الرخاء، أما في البلاد المتخلفة فليست هناك برجوازية حقيقية، بل فئة محكترة طويلة الأنياب نهمة التطلعات.

في بقية الفصل يتطرق فانون إلى مجموعة من الحلول العملية لمواجهة مرحلة ما بعد الاستعمار اقتصاديًا وسياسيًا، وشديدة التفصيل، لكنها مهمة لمن يهمه الأمر.

في الثقافة القومية أو مشروعية المطالبة بالالتفاف حول الأمة:

"لا بد لكل جيل أن يكتشف رسالته وسط الظلام؛ فإما أن يحققها وإما أن يخونها".

هنا يؤسس فانون لمجموعة الصور الذهنية التي يغرسها المستعمر في أهل المستعمرة لكي يخضعهم ويهز ثقتهم في قدراتهم من هذه الأفكار، إقناعه الاستعمار إنما جاء لينتشله من الظلام وأن رحيل المستوطن الأوروبي سيردهم إلى الهمجية والوحشية والحيوانية. وهي فكرة تتبناها فيما بعد البرجوازيات التالية للاستعمار. وهو يروج في سبيل ذلك إلى أن إفريقيا هي قارة ملعونة يسكنها الوباء والخرافات والتعصب، وأكلة لحوم البشر.

ويعرض فانون لكفاح الشعوب العربية في مواجهة هذا النوع من الأفكار، غير أنه يظهر في الإلمام بكثير من الثقافة العربية، وقومياتها وكفاحها. في هذا الفصل، يتناول المقاربات الأدبية التي تناولت الاستعمار ويدعو إلى تحررها من الخلفية الاستعمارية ولأن تنفض من عباءتها فكر الدفاع الدائم، فتحوله إلى فكر ثورة وهجوم.

الأسس المشتركة بين الثقافة الوطنية وكفاح التحرر

يطرح فرانز فانون هنا سؤالًا جوهريًا وهو: ما العلاقات القائمة بين الكفاح أو الصراع السياسي، سواء أكان مسلحًا أو غير ذلك، وبين الثقافة؟ هل تعاني الثقافة توقفًا أثناء الصراع؟ هل الصراع القومي مظهر ثقافي؟

يرد فانون أن الكفاح هو مظهر أساسي من مظاهر تشكيل الثقافة القومية، ويقول إن وعي الذات ليس انغلاقًا دون تواصل؛ بل هو ضمانة التواصل والنضج والوعي بالحريات.

الحرب الاستعمارية والاضطرابات النفسية

هذا الفصل يعرض تجربة فانون العملية بصفته طبيبًا نفسيًا، والكم الرهيب من التفتت النفسي والاضطراب الذي يعانيه الإنسان في الحروب؛ فهو يعاني تشوهًا في الهوية والإرادة قد ينعكس عليه فيحوله إلى مجرم أو إلى مرض انعزالي له دوافع انتحارية. أراه أبدع ما قام به فانون على الإطلاق في مشروع كتابه ويساعدنا على الاقتراب بحذر من تأثيرات العنف على النفس البشرية، التي لا بد أن يطلب فيها الإنسان مساعدة من غيره.

كما يفرد بعض الصفحات للحديث باستفاضة عن نفسية الاستعمار، الذي ألصق الجزائريين صفة الميل الفطري للإجرام والعنف وصفات أخرى تفتقر إلى الإنصاف والدقة: كُسالى بالفطرة، كذابون بالفطرة، لصوص بالفطرة، وغيرها.

الأعداد والتنسيق الإلكتروني والنشر هيئة تحرير مكتبة www.DEVKUP.com الإلكترونية

جميع الحقوق محفوظة@2018